

مؤسسة الوقف عند بني مرين: وقفات تاريخية

زكية فراجي*

zakiafaraji@yahoo.fr

تقديم: لقد خلق الله الإنسان في هذه الحياة، ودعا بنبيه إلى التعارف والتعاون وإلى التكافل المجتمعي، وأهاب بأقويائهم أن يساندوا ضعفائهم وبأغنيائهم أن يساعدوا فقرائهم حتى يسعدوا بسعادتهم، ويسيروا في مسيرة واحدة مترابطة متلاحمة الأجزاء. ومن بين ما يقوي روابطهم ويشد أزرهم ويزرع المحبة في قلوبهم إحسان بعضهم لبعض، و من بين ظواهر هذا الإحسان: الوقف في سبيل الله قصد الخير و نفع الناس.

ولقد كان جانب الوقف، ولا يزال، محل اهتمام بالغ، وموضع عناية فائقة النظير من المسلمين في كل مكان وحين، ومنذ عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعبر العصور المتوالية. فقد ظل المسلمون في مختلف عصورهم وعلى اختلاف مستوياتهم الاجتماعية يحرصون على الوقف والتسابق وإلى تحبيس شيء من ممتلكاتهم في سبيل الله، من أجل صرف ريعها ومدخولها المالي في وجوه البر والإحسان وإقامة شعائر الدين، وتحقيق المنافع العامة للمسلمين، ويعتبرون ذلك من الأعمال الصالحة التي تقرهم إلى الله زلفى ومن الصدقة الجارية التي شرعها الإسلام ورغب فيها الرسول الكريم والتي يبقى أجرها خالدا وثوابها مستمرا بعد حياة الإنسان مصداقا لقوله تعالى: "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ".¹

وانطلاقا من هذا الأساس الديني القويم في مشروعية الوقف ومقاصده الحميدة، وغاياته ومراميه النبيلة، كانت الأمة المغربية في سائر عهودها المتواصلة، وعلى اختلاف شرائحها الاجتماعية، والمستويات المادية والعلمية لأفرادها: يبادرون إلى التعاون على البر والتقوى، ويسارعون إلى الخيرات والمكرمات، والقيام بما يصلح أحوالهم ويسعدهم في دنياهم وآخرتهم.

ومن هنا نسعى في هذا المقال إلى التعريف بجهود المغاربة حكاما ورعية في دعم رصيد مؤسسة الوقف بمدينة فاس خلال عهد بني مرين، متسائلين عن طبيعة الأُملاك التي حبست على المؤسسات العلمية وأهميتها، والأوجه والأبواب التي صرفت فيها، والجهات التي كانت من وراءها، والدور الذي قامت به في دعم الحركة العلمية بالمدينة الادريسية.

وسيتم ذلك عبر المحاور الثلاثة التالية: الأول: واقع الوقف في زمن المرينيين. الثاني: مؤسسة الوقف ودعم المعاهد والمدارس العلمية. الثالث: الخزانات الوقفية.

1. واقع الوقف في زمن المرينيين: إن المغاربة لما عرفوا قدسية الوقف، باعتباره من أطيب المكاسب التي تشكل نظاما اجتماعيا أصيلا يستمد أسسه من الشريعة الإسلامية ويهدف الى تعزيز الروابط بين الأفراد ظلوا في مختلف عهودهم ومستوياتهم الاجتماعية يحرصون على تحبيس شيء من ممتلكاتهم في سبيل الله وذلك لصرف ريعها ومدخولها في وجوه الخير المختلفة وإقامة شعائر الدين وتحقيق المنافع العامة للمسلمين.

وعليه فالمغرب كغيره من البلدان الإسلامية عرف الوقف العام بوصول الفاتحين المسلمين²، فكانت المساجد هي طليعة المؤسسات الوقفية التي ظهرت واستقرت³ بالمغرب حيث يرجع تاريخها الى أيام عقبة بن نافع الفهري⁴، لتحتل بذلك مكانة عظيمة في حياة المجتمع حتى أصبح من النادر أن يخلو حي أو زقاق من مسجد أو عدة مساجد، خاصة وأن المبادرات الفردية أو الجماعية للمحسنين ساهمت بحظ وافر في التكاثر من عددها سواء بما رصدوه لها من هبات مالية أو ما وقفوه عليها من ربايع وعقارات.⁵

ومما يدل على العناية بالوقف عبر التاريخ المغربي ما نعرفه من توالي بناء المنشآت الوقفية، ففي عهد الأدارسة تم بناء جامع القرويين بفاس الذي لا يخفى على أحد مآله من الريادة والخصوصية والدلالة، إضافة إلى جامع الأندلسيين بفاس، وكذلك

مسجد باب دكالة بمراكش. أما عهد الدولة المرابطية فقد شهد بناء مجموعة من المدارس على نفقة الأحياس كانت ملاذا لطلاب العلم وحياضا معرفية يروون ظمأنهم من معينها. وفي صدد الاهتمام بالعلم وطلابه نجد أن أول خزانة وقفت بالمغرب كانت في عهد الموحدين⁶، إضافة إلى المساجد⁷ والمدارس التي كان لها الأثر البارز في تنمية الثقافة ونشرها في هذا العهد.

وتكاد تجمع الأبحاث على أن المرينيين الذين وصلوا إلى الحكم منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ساهموا بدور كبير في النهوض بهذه المؤسسة تدييرا وتنظيما ومراقبة وتنمية وصيانة، فتعددت أصولها وانتشرت ممتلكاتها في كل الأصقاع والبقاع، ونمت مداخيلها وتنوعت مقاصدها وتضاعف آثارها داخل المجتمع. وكانت مدينة فاس باعتبارها عاصمة بني مرين، مدينة الوقف بامتياز بالنظر إلى حجم الأملاك التي حبست على وجوه البر المختلفة.

فمن المعلوم أن الدولة المرينية لم تعتمد بالضرورة على دعوة دينية للوصول إلى الحكم على خلاف مع الدول التي سبقتها. فإذا كانت جل الدول المغربية المتعاقبة استندت في تثبيت مشروعيتها حكمها على دعوة إصلاحية أو الانتماء فإن بني مرين بادروا إلى القيام بمجموعة من التدابير والإجراءات لبناء قاعدة شعبية وكسب تأييد الناس لمشروعهم. وهكذا قربوا إليهم أهل الصلاح والتقوى، وساروا على نهجهم واكتسبوا منهم جملة من الصفات التي تحدثت عنها بإسهاب المصادر التاريخية. واشتهر بنو مرين أيضا بتعظيم العلماء والشرفاء وتوقيرهم، وتجلّى ذلك في إعادة العمل بالمذهب المالكي والتمكين له بأرض المغرب، واتخاذ مذهبا رسميا للدولة الجديدة. فسخرُوا طاقاتهم لتوطيد أركانه باعتباره المذهب الذي اجتمع عليه أمر الناس عموما بالمغرب منذ القرون الأولى للهجرة. ومن مظاهر العناية بمذهب عالم المدينة المنورة، إدراج كتب المالكية ومصنفاتهم ضمن البرامج التعليمية وجعلها من المرتكزات الأساسية للتكوين في مجال العلوم الشرعية، فانخرط علماء المذهب في الحياة العلمية ونالوا المكانة التي تليق بهم سواء في ميدان التدريس والتأطير أو في مجال الوظائف المخزنية أو في مجال المشورة وإبداء الرأي.

وارتباطا بتكريم العلماء وتوقيرهم وتشجيع الطلبة على الدرس والتحصيل، شيد بنو مرين مشاريع ضخمة خدمة للعلم وأهله وفي مقدمتها المدارس العلمية، معتمدين في ذلك على التنسيق الوثيق مع مؤسسة الوقف سواء على مستوى التمويل أو التدبير أو الصيانة.⁸

2. مؤسسة الوقف ودعم المعاهد والمدارس العلمية: اتخذ المغاربة من الوقف مصدرا شبه دائم لتمويل المؤسسات التعليمية واستمرارها في أداء رسالتها، مما أضفى على التعليم طابعا أصيلا وجعل منه، إلى حد كبير، قطاعا مستقلا عن الأجهزة الرسمية. وقد شهدت الحركة العلمية بفاس أيام بني مرين نقلة كبرى همت بالخصوص بناء المدارس العلمية وإقامة الخزانات وشحنها بالكتب والمصنفات، وتزايد الإقبال على طلب العلم سواء على مستوى عدد الطلبة وتنوع مشاربهم أو على مستوى العلماء الذين شكلوا طائفة كبيرة ومؤثرة بحكم زادهم المعرفي الأصيل وأدائهم العلمي الرفيع وقدرتهم على التأليف الرصين.

برز بنو مرين في المجال العلمي بفعل إنجازهم لمشروع متكامل يقوم أساسا على إنشاء مدارس علمية بمدينة فاس، عاصمة الدولة، وبجل الحواضر التابعة لنفوذهم. وإذا كانت مؤسسة المدرسة أمرا معروفا قبل بني مرين على أساس أن المصادر تشير إلى وجود مراكز مماثلة كمدرسة الصابرين بفاس ومدرسة أبي الحسن الشاري بمدينة سبتة ومدارس الموحدين بمراكش، إلا أن المدرسة المرينية فاقت سابقتها ذكرا وقدرة على الصمود ضد عوادي الزمن، واستأثرت بعدد من الموارد الوقفية، وسمت بعمارتها وفنونها، وكانت أكثرها أثرا في بناء الحضارة المغربية. وغني عن القول، إن الكثير من المدارس المرينية ما تزال قائمة، وتعد مكونا أساسيا من التراث المعماري والفني المغربي، سواء بمدينة فاس أو مكناس أو سلا أو مراكش أو تازة ... وللإشارة فإن المدرسة المرينية تتميز بخاصيتين أساسيتين، فهي مؤسسة رسمية ووقفية في آن واحد.

تتجلى الخاصية الأولى في أن بناء المدارس المرينية هم السلاطين، فالمصادر التاريخية والكتابات المنقوشة على جدران المدارس تكاد تجمع على أنها بنيت بأمر من السلطان الحاكم. فعلى سبيل المثال فإن مدرسة الصفارين بفاس - أم المدارس المرينية - شيدها السلطان يعقوب المريني عام 672هـ، بينما أسست المدرسة البوعنانية (المتوكلية) التي تمثل خاتمة عقد المدارس خلال

المرحلة المدروسة - من قبل السلطان أبي عنان عام 756 هـ . وهكذا فإن بناء المدارس المرينية ظل حكرا على السلاطين ولم تسجل المصادر أي حضور أو إسهام للمحسنين والعلماء وغيرهم في إقامة هذا النوع من المنشآت على خلاف مع ما كان الأمر عليه في جهات أخرى من العالم الإسلامي.

أما الخاصية الثانية للمدرسة المرينية فهي أنها مؤسسة وقفية، حبّست على أهل العلم كما تنص على ذلك شهادة المحبسين. فقد جاء في الكتابة الوقفية لمدرسة الصهرج والسباعيين بفاس أن السلطان أبا الحسن المريني حبسهما على طلبة العلم الشريف وتدريبه. إلى جانب ذلك فقد حبست على كل مدرسة مرينية مجموعة كبيرة من الأملاك لتصرف غلاتها في الإنفاق عليها مما ضمن لها استقلاليتها المالية وديمومتها، كما جاء في عبارات صريحة عند ابن مرزوق مؤرخ السلطان المريني أبي الحسن "وكلها (المدارس) قد اشتملت على المباني العجيبة ... مع ما ينضم إلى ذلك من الأحباس التي تقام بها ويحفظ بها الوضع، مما يصلح به ويبني ويجري في المرتبات على الطلبة والعونة والقيم والبواب والمؤذن والإمام والناظر والشهود والخدام ويوفر من ذلك". لقد شكلت إذن المدرسة منشأة سلطانية في إنشائها وتمويلها، إلا أنها تلحق بعد ذلك بمؤسسة الوقف لتتكفل بتدبير شؤونها المالية والتربوية، وهذا يكشف عن العلاقة الوثيقة والتكامل الواعي بين السلطة السياسية ومؤسسة الوقف في تدبير الشأن التعليمي خلال عهد بني مرين.

كما لا شك أن رصيد الأوقاف من الممتلكات قد تضاعف خلال عهد بني مرين بفضل ما تم تحبيسه على مختلف المؤسسات الاجتماعية والصحية والثقافية التي تم تشييدها، وفي مقدمتها المدارس العلمية. فلقد نما عدد المدارس المرينية بشكل لافت وعمت مختلف الجهات وخاصة الحواضر، إذ بلغ عددها بمدينة فاس فقط إحدى عشرة مدرسة حسب الوزن. وقد حظيت كل واحدة منها بقائمة طويلة من الأملاك التي حبسها عليها السلطان المؤسس لها كما مر بنا سابقا.

إن استقرار ظاهرة المدارس المرينية باعتبارها مشاريع سلطانية في تصورها وإنجازها وتمويل بنائها وتحبيس الأملاك عليها للقيام برسالتها من جهة، ومؤسسات وقفية في تدبيرها ورعايتها وصيانتها من جهة ثانية، يؤكد لنا حقيقة كبرى تتجلى في التكامل المتميز بين السلطة المرينية ومؤسسة الوقف. لقد تضافرت جهودهما لتعزيز المباني والمرافق الدينية والتعليمية والاجتماعية والتكثيف منها والتعاون على استمرار عملها وتواصله عبر الحقب التاريخية. فهناك نوع من تقاسم الأدوار وتكامل الوظائف بينهما، ذلك أن السلطة المرينية تقوم بوضع المشاريع بما فيها المؤسسات العلمية وفق تصورات وضوابط محددة، ثم تشرع في البناء والإنجاز بدءا من وضع الحجر الأساس إلى حين نهاية الورش، وتتكفل بالتمويل والمتابعة والمراقبة عبر موظفيها (قد يكون إطارا تابعا للوقف كالناظر). وبعد إتمام عملية بناء المدرسة - التي تكون غالبا في أبهى صورة وأجمل حلة - يتم شراء عدة أملاك وعقارات مختلفة ومتنوعة وتحبس عليها لتشكيل مداخلها ميزانية التسيير الدائمة للمؤسسة، وهنا يبدأ الدور المباشر لمؤسسة الوقف لأنها تتولى مسؤولية تسيير المدرسة الوقفية وتدبير شؤونها وحماية مصالحها والسهر على صيانتها، بمعنى تنتقل المدرسة من إطار مؤسسة سلطانية إلى مؤسسة وقفية خالصة لأن إدارة الوقف تصبح الراعية الرسمية والمباشرة للمدرسة، فهي تتكفل بالأملاك المحبسة على المدرسة وصيانتها وتنميتها واستخلاص مستفاداتها وصرفها في الوجوه والأغراض المحددة من قبل المحبس، كما تسهر على السير العادي للمدرسة ومتابعة الجهاز الإداري المشرف عليها، وتقوم بتجهيزها بما تحتاج إليه من مستلزمات (حصير، زيت الوقود...)، وتعتني أيضا بإصلاح ما تلاشى منها وترميمه.

مما سبق يتبين أن سلاطين بني مرين أسهموا في جعل المدرسة مؤسسة ذات استقلالية مالية، ولتحقيق ذلك استندوا إلى الحضور الفاعل لمؤسسة الوقف التي توفرت على الإمكانيات والمؤهلات الإدارية القادرة على حسن تدبير ثروات وممتلكات مختلف المؤسسات الوقفية. وكان من ثمار التعاون بين السلطة الحاكمة ومؤسسة الوقف، في تدبير الشأن العام، أن التعليم لم يبق رهينا في تسييره وتمويله للسلطة الحاكمة وإدارتها المختلفة، وإنما كان الإنفاق عليه والنظر في شؤونه من اختصاص مؤسسة الوقف. وهذا لا يعني أن السلطة انسحبت تماما من الإشراف على التعليم بل ظلت تراقب -عن بعد في الغالب - محتواه ومضامينه، وتوجه مساره وتطوره.

لم تكن المدارس خلال عهد بني مرين إلا ركنًا من الأركان التي قامت عليها الحركة العلمية بمدينة فاس، بل إن بروز دورها الوظيفي وتآلقها راجع في جزء منه إلى وجود مؤسسة علمية كبرى بمدينة فاس كان لها إشعاع وتأثير على الحركة العلمية ليس بالمغرب فحسب، بل في جهات واسعة من العالم الإسلامي وأوروبا: إنها جامعة القرويين منارة العلم وقلعة الثقافة الإسلامية.

كما أنه غني عن القول إن القرويين كجامع وجامعة هي المؤسسة الأم التي يرجع إليها معظم أوقاف فاس، وبقدر ارتباط القرويين بوظيفتها الأصلية كمسجد لأداء الصلاة بقدر قيامها بالوظيفة التعليمية كمؤسسة حاضنة لأهل العلم ومؤثرة في مجال التربية والتأطير والإنتاج العلمي.⁹

يعتبر جامع القرويين الذي بنته المرأة الفاضلة فاطمة الفهرية أم البنين- ذات الأصول الإفريقية -مؤسسة وقفية خالصة، حيث أسهم المحسنون والمحبسون، رجالا ونساء، حكما ورعية، في توسعته وصيانته وإصلاحه وتزيينه وتجهيزه بكل الأدوات والمستلزمات، وكذا تعميمه بحلقات الذكر وقراءة القرآن ومجالس العلم. وإذا كنا لا نملك وثائق تتعلق بتحديد تاريخ وأسماء الأوقاف الأولى التي حبست على هذه المؤسسة الدينية والتعليمية، فإننا على يقين بأنها بلغت شأنا كبيرا كما ونوعا خلال حكم المرابطين (القرن الخامس والسادس للهجرة / الحادي عشر الميلادي)، لأن المداخل التي جمعت من غلات أملاكه -التي أصابها الإهمال وقتئذ- كانت كافية لوحدها لتغطية كل النفقات المتعلقة بالزيادة فيه وإصلاحه في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف. ولم تكن عملية التدخل تلك ضخمة فحسب، وإنما كانت فنية بامتياز كما يدل على ذلك المحراب والقباب والأقواس ذات الزخارف البديعة والتشكيلات الرائعة والمتناسقة، إلى جانب ذلك استخدمت أموال أحبابه في صناعة المنبر المرابطي الذي يعد آية في الحسن والإبداع. وقد انتقل جامع القرويين من مرحلة الجامع إلى مرحلة البداية الجامعية في العهد المرابطي، حيث قام العديد من العلماء باتخاذ المسجد مقرا لدروسهم. وحسب النصوص المتوفرة فإن جامع القرويين دخل مرحلة الجامعة الحقيقية في العصر المريني حيث بنيت العديد من المدارس حوله وعزز الجامع بالكراسي العلمية والخزانات.

3. الخزانات الوقفية: يندرج إنشاء المكتبات الوقفية في سياق توفير آليات الاشتغال وأدوات العمل الضرورية بالنسبة للعلماء والطلبة على حد سواء. فتحفيز أهل العلم على الدراسة والتعلم والبحث العلمي يقوم على توفير الخزانات التي تسمح لهم بالاطلاع على الكتب والمصنفات والاستفادة منها في المطالعة والنسخ والمقابلة والبحث. وقد ترسخت تقاليد وقف الكتب بالمغرب منذ العهود القديمة، فإلى جانب المكتبات الخاصة للعلماء، نجد الخزانات العمومية داخل المساجد والزوايا، فضلا عن الخزانات الملكية التي تزين قصور السلاطين. ومما تجدر الإشارة إليه أن مدينة سبتة المغربية اشتملت على حوالي سبعة عشرة خزانة خلال العهد المريني، ثمانية منها محبسة على أهل العلم، كان من أشهرها وأقدمها خزانة العالم الجليل أبي الحسن الشاربي التي يقول عنها الأنصاري: "... أقدمها الخزانة الشهيرة ذات الأصول العتيقة والمؤلفات الغريبة خزانة الشيخ علي الشاربي المذكور التي بالمدرسة المنسوبة إليه التي ابتناها من ماله، وهي أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم، نفعه الله بها".

وخلال العهد المريني زاد عدد الخزانات وذاع صيتها، ففضلا عن الخزانات الخاصة التي كانت تزين دور الكبائر والفقهاء كخزانة بني الملجوم بفاس وخزانة بني القاضي الحضرمي بسبتة، برز نجم الخزانات العمومية الملحقة بالمساجد والمدارس العلمية. وتعد خزانة مدرسة الحلفاويين من أقدم الخزانات المرينية بفاس. ومما ساعد على إغناء رصيد تلك الخزانة، أنها استفادت من اثني عشر حملا من الكتب التي حصل عليها السلطان أبو يوسف يعقوب المريني في اتفاقيته مع سانشو ملك قشتالة عام 684هـ/1285م.

ومن أعظم الخزانات الوقفية بالمغرب وأغناها رصيда وأوسعها فضاء إلى يومنا هذا خزانة جامع القرويين التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى بداية حكم السلطان المريني أبي عنان (750 هـ / 1350م) كما هو مسجل في الكتابة المنقوشة التي توجد بأعلى مدخلها الأصلي الكائن فوق المستودع بالشمال الشرقي للقرويين. وإذا كانت الكتابة المنقوشة تؤكد على الطابع الوقفي للخزانة، فإنها تكشف أيضا عن رؤية المرينيين لتنظيم شؤون المكتبة وترتيب آليات الاشتغال بها والانتفاع من كتبها.

لا شك أن الخزانة استفادت من رعاية السلطان أبي عنان - المعروف بحبه للعلماء وشغفه بالعلم - الذي شحنها بالكتب وزودها برصيد كبير من المصنفات والمدونات المشرقية والمغربية، وللإشارة فما تزال المكتبة تحتفظ إلى يومنا هذا بعينات من الكتب التي حبسها هذا السلطان حيث نجد عليها خط يده وتوقيعه.

وقد أسهم العلماء والمحسنون بدورهم في تعزيز رصيد خزانة القرويين. ومن العلماء الذين حبسوا عليها نذكر العلامة ابن خلدون الذي أهدى إليها كتابه الضخم العبر وجعله وقفا مؤبدا على طلبة العلم بها.

وتقدم فهارس خزانة القرويين الورقية منها والإلكترونية فكرة مفصلة عن مدى إسهام المحبسين في إثراء رصيد الخزانة عبر المراحل التاريخية المختلفة، فالكثير من المخطوطات تحتوي على وثائق التمليك ووثائق التحبيس التي تمكن من معرفة أسماء المالكين لها والمحبسين وتاريخ التحبيس والغاية منه.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن السلطان أبا عنان شيد خزانة ثانية بالقرويين متخصصة في المصاحف الشريفة، وقد بناها في جدار القبلة على يسار الواقف أمام المحراب، يقول عنها الجزنائي: "... وسهل بها على الناس تلاوة القرآن في كل وقت من الأزمان وأعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط الهية الجليلة السنية وأباحها لمن أراد التلاوة فيها".

ومن بين الخزانات الوقفية بفاس خزانة جامع الأندلس، وهي من بناء السلطان المريني أبي سعيد الثالث، وذلك في عام 816 هـ /1414م.

بناء على ما سبق، يتضح أن مؤسسة الوقف قامت بدور كبير في انتشار وتشجيع الخزانات ليس في المساجد الكبرى فحسب، وإنما في مساجد الأحياء والمدارس العلمية، حيث قامت بتدبير شؤونها والسهر على رعايتها والمحافظة على رصيدها من كيد الكائدين. ومما يلاحظ أيضا في هذا الباب تعدد الجهات التي أسهمت في عملية إنشاء الخزانات وشحنها بالكتب، فإن كان لسلطين بني مرين الدور الكبير في هذا المقام إلا أن المبادرة الشعبية وهمة أهل العلم والمحسنين أسهمت بدورها في تعزيز رصيد المكتبات الشيء الذي عبد الطريق أمام طلبة العلم للاعتكاف والتفرغ للدراسة والبحث العلمي. ومع أن أغلب الخزانات التابعة للمساجد والمدارس المرينية بفاس قد اندثرت، فإن خزانة القرويين - المرينية التأسيس - قد استطاعت أن تجمع ما تفرق في غيرها من كتب ومؤلفات، فهي تزخر بآرث غني من المخطوطات المدونة على مختلف الحوامل من رق وورق، ومدونة بأجمل الخطوط المشرقية والمغربية.

خلاصة: لقد شكلت المرحلة المرينية نموذجا تاريخيا معبرا وتجربة غنية تعكس مدى تأثير الوقف في الحركة العلمية، ذلك أن نمو موارد الوقف وتوسعها وانتشارها وحسن تدبيرها شكل دعامة أساسية لتطور الأنشطة التعليمية كما وكيفا، ومن ثم كثرت المؤسسات الوقفية العلمية من مدارس ومساجد، وتنمى إشعاع جامعة القرويين، وتعددت الكراسي العلمية، وتضاعف عدد الخزانات العمومية مما جعل فاس قبلة الطلبة وملتقى العلماء والفقهاء.

وموازا مع التفاعل بين الوقف والحركة العلمية، رصدنا تكامل الأدوار وتداخل الخدمات بين مؤسسة الوقف وجهاز الدولة المرينية. فقد سطرت هذه الأخيرة - زمن قوتها واستقرارها السياسي - مشاريع معمارية ضخمة ذات صبغة علمية وحبست عليها الكتب والأموال المختلفة قصد تأمين مداخل قارة للإنفاق عليها، لكنها ما تلبث أن تضع المعاهد العلمية بين يدي مؤسسة الوقف وتجعل منها مرافق تابعة لها كلية.

إن تغلغل مؤسسة الوقف في الميدان التعليمي وقيامها بمهام كبرى في هذا المجال وغيره من المجالات الاجتماعية والصحية والدينية أسهم بدون شك في تخفيف العبء عن الدولة المرينية التي انصب اهتمامها على مجالات وقضايا أخرى مثل الجهاد وتطوير الأنشطة الاقتصادية وتأمين الطرق التجارية وتمتين العلاقات مع القوى الخارجية.¹⁰

وعلى مستوى آخر، شكلت مؤسسة الوقف هيئة خيرية يساهم فيها الشعب والحكام على حد سواء، مما سمح لها بأن تكون أداة ربط بين الرعية والسلطة وقناة لتوثيق الصلات بينهما.

الحاصل إذن أن الحركة العلمية بفاس، مدينةٌ، في جزء منها، إلى نظام الوقف الذي وفر لها الإمكانيات المالية واللوجستية الضرورية والأجواء المناسبة التي جعلتها تنطلق نحو فضاءات أرحب وتبلغ أعلى المقامات.

إن نظام الوقف الذي يستمد مشروعيته من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وسيرة السلف الصالح قام بأدوار فاعلة في تسيير مرافق المجتمع وتلبية حاجات الناس المتعددة والمتنوعة. ولذلك من الضروري أن يعاد له الاعتبار في واقعنا الحالي، وذلك بإغناء رصيده وحسن تدبيره ومراقبته وحمايته وتنميته وتأهيله ليستعيد أهميته ويستأنف دوره كقاطرة لتعزيز التكافل الاجتماعي، وأداة لتشجيع الحركة العلمية سعياً لتحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية والإقلاع العلمي والثقافي في بلاد الإسلام.

لائحة المراجع

1. الأستاذ محمد المنوني: ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين (الرباط: مطابع الأطلس، 1980).
2. الشيخ محمد المكي الناصري: الأحياس الإسلامية في المملكة المغربية للشيخ (الرباط: وزارة الأوقاف، 1992).
3. عبد الكريم شهبون: عقود التبرع في الفقه المالكي (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1992).
4. كتاب عبد السلام ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى (الدار البيضاء: دار الكتاب، الطبعة الثانية، 1960).
5. مجلة دعوة الحق.
6. محمد الحبيب التجكاني: الإحسان الإلزامي في الإسلام وتطبيقاته في المغرب (المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، 1990).

اليهود واليهودية "توطن اليهودية"

عبد القادر العزة*

abdulqader.alazze@ gmail.com

مقدمة: لا يخفى أنه لكل قوم وكل شعب له بداية ونشأة، وله كذلك تاريخ يختص به. وقد تتعدد الدراسات وتختلف من منهج لآخر حول محاولات تتبع التاريخ القديم، وخاصة حول حركة التواجد اليهودي ومقومات النشأة الأولى للتاريخ اليهودي على وجه الخصوص. ورغم الدراسات العديدة التي تناولت نشأة الديانة اليهودية إلا أن الغموض ما زال يلف الكثير من جوانب هذه النشأة والكثير من مراحل تطورها، إلى درجة يصعب معها إعطاء رأي قطعي بشأن أصول أو منابع الديانة اليهودية وحقيقتها، ولكن يمكن القول أن هناك إجماع بين المؤرخين حول بعض الروايات والأحداث المتعلقة بالنشأة الأولى للتاريخ اليهودي.

وتحتل الديانة اليهودية مكانة مهمة في تاريخ الحضارة العروبية وكذلك في تاريخ الأديان، فهي أقدم الديانات التوحيدية، كما لها علاقة دينية بكل من المسيحية والإسلام، بالإضافة إلى أهميتها في فهم التاريخ اليهودي. أضف إلى ذلك أن اليهودية تلقت عدة تسميات خلال تاريخها الطويل، ففي المرحلة الأولى من نشأتها سميت بديانة الآباء والمقصود بالآباء مجموعة الشخصيات النبوية التي تبدأ بأدم عليه السلام وتنتهي بموسى وهارون عليهما السلام¹، ومن أشهر الآباء على الإطلاق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهما السلام وأبناء يعقوب (بنى إسرائيل). ويتجه بعض المؤرخين اليهود إلى ضم آدم ونوح إلى مجموعة الآباء وذلك لتبرير الروايات التوراتية الخاصة بهما والتأكيد على عودة سلسلة الأنساب الخاصة ببني إسرائيل إلى بداية الخليقة. والشخصية المحورية في عصر الآباء هي شخصية إبراهيم الذي ينسب إليه عصر ديني مستقل يبدأ به تاريخ الديانات السماوية².

ومن الضروري التمييز بين عصر إبراهيم الخليل العربي (بني إسرائيل) وبين عصر موسى (اليهود)، باعتبارهما عصرتين منفصلتين لا صلة للواحد بالآخر، لأنهما على ما نفهمه من التاريخ المبني على الاكتشافات الحديثة عصران منفصلان بشكل كبير، فبينهما فاصل يمتد عبر الزمن إلى أكثر من سبعمائة عام³ وكل عصر من هذه العصور ساهم في ظهور الديانات السماوية.

وقد كانت قبائل بنو إسرائيل أول من دان باليهودية، غير أنه لم يعد لهم أثر بعد انحلت أو أصرهم القبلية وامتزجوا بشعوب أخرى في شبه الجزيرة العربية وفي غير شبه الجزيرة العربية، وهذا ما حدث لغيرهم من الجماعات البائدة. أما الديانة اليهودية، فهي ديانة توحيدية وضعت أسسها أصلاً على أيدي أنبياء من بني إسرائيل، بناءً على تورا موسى عليه السلام. وكما ذكرنا بأن بني إسرائيل أول من دان باليهودية، لكنهم لم يكونوا وحدهم اليهود في زمانهم، فربما انتشرت الديانة اليهودية على أيديهم أول الأمر ولكنها استمرت في الانتشار بعد زوالهم وانقراضهم. ولازالت هذه الديانة اليهودية منتشرة في معظم أرجاء العالم بين شعوب مختلفة بعيدة كل البعد عن بني إسرائيل من ناحية اللغة والعرق، مع العلم بأن هناك البعض من بني إسرائيل القدامى لا بد أنهم انصهروا في المجتمعات اليهودية التي انتظمت في مختلف الأقطار بعد زوال ملك إسرائيل، وفي المقابل هناك عناصر من شعب إسرائيل انصهرت في مجتمعات عربية، مصرية أو يمنية، أو شامية، أو عراقية، واعتنقت مع مرور الزمن المسيحية والإسلام⁴.

ولقد كانت الجزيرة العربية هي مهد الديانات الثلاث ومهد الحضارة العروبية، وأن تشابك القبائل بعضها ببعض وتفاعل نشاطها في سبيل الحصول على حياة أفضل، أدى إلى تشكل أمة مجتمعية عربية واحدة. تعززه وحدة جغرافية واحدة مترابطة الأجزاء تضم الجزيرة العربية (الأم) وأبناءها في بلاد المهاجر إليها. (وادي الرافدين وسوريا ولبنان وفلسطين إلى مصر السفلى). الكيان الذي انبثقت منه أقدم الحضارات وأعظمها مما عرفه العالم في تاريخ البشرية، أي الإمبراطوريات العروبية الخمس: الأكادية، والبابلية، والآشورية، والكلدانية، وأخيراً الإمبراطورية العربية الإسلامية⁵.

الإطار المفاهيمي: تتضمن المقالة البحثية العديد من المفاهيم النظرية التي تم اعتمادها في بناء هذه الدراسة نورد بعضها فيما يلي:

العبرانيون: كان هذا المصطلح يطلق على القبائل العربية في شمال جزيرة العرب أي في بادية الشام وعلى غيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام. وهم القبائل البدوية العربية ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه⁶. تعتبر هذه التسمية من أقدم التسميات التي عرف بها بنو إسرائيل في التاريخ، فهناك من يربطها بالاسم "عبري" ويرجع ذلك إلى عبور نهر الفرات الذي عبره إبراهيم ومن معه، بعد أن هاجروا⁷.

إسرائيل: كلمة عبرانية مركبة من "إسرا" بمعنى: عبد، ومن "إيل" وهو الله، فيكون معنى الكلمة: عبد الله، المقصود به يعقوب حفيد إبراهيم الخليل عليه السلام، وأبناؤه وهم إسرائيل الذي ورد ذكرهم في الأسفار ودورهم محصور في منطقة حاران حيان حالياً⁸. وبني إسرائيل كانوا في غابر الزمن شعباً تاريخياً عاش غرب الجزيرة العربية، متحولاً فيها على مراحل من البداوة إلى التحضر⁹.

اليهود: هي التسمية الثالثة في الترتيب التي عرف بها اليهود وتأتي بعد التسميتين الأقدم "عبري" و"إسرائيلي" من ناحية الظهور التاريخي والاستخدام. وهي التسمية التي أطلقت على بقايا جماعة يهودا، وقد سموا كذلك نسبة إلى مملكة يهودا المنقرضة¹⁰.

العروبية: أطلق الباحثون الغربيون على مجموعة اللغات التي عرفها الشرق القديم "اللغات السامية"، وهي تسمية غير سليمة لكثير من الأسباب، أبسطها علمي، ونحن نميل إلى تسميتها باللغة العربية، والمتحدثون بها بالعروبيون، كما اقترح ذلك باحثون عرب مرموقين، أمثال الدكتور أحمد شحلان. لقد ارتبطت اللغة العربية بأهلها الذين تحدثوا بها، والذي يعيننا هنا هذه اللغة التي تحدث بها هؤلاء العرب في ماضيهم وفي أرض تعدت حدودها ما يعرف بالجزيرة العربية وفاقها مساحة أضعافاً مضاعفة. وتتكون هذه العائلة من لغات شغلت عالماً شاسعاً جمع ما بين أرض الهلال الخصيب وبلاد فارس (آرامية) وأرض الشام القديم واليمن والجزيرة العربية وامتداداتها، وكل الأرض التي أصبحت جزءاً من أرض الإسلام، باعتبار أن هذه بدأت تستعمل اللغة العربية منذ قبولها للإسلام¹¹.

وتتناول هذه الورقة البحثية موضوع اليهود واليهودية قبل الإسلام أي قبل ألفين سنة قبل الميلاد، أي في مراحل نشأتها الأولى وذلك من خلال مجموعة من أهم الكتب الدينية، وكتب الباحثين في الحفائر والآثار ولاسيما الكتب التي تعتمد مؤلفوها أن يبحثوا في موطن السيرة من الألف الثانية قبل الميلاد، بين آثار العراق وفلسطين ومصر والجزيرة العربية. وبعض من المقالات المهمة التي أشارت بشكل واضح ومفصل للأصول العربية لليهودية.

تأسيساً على ما تقدم رأينا طرح السؤال الأساسي التالي: إلى أي حد يمكن اعتبار اليهودية ديانة ممهدة لظهور الديانات السماوية (المسيحية والإسلام)، انطلاقاً من كونها ديانة عربية ذات أصول حضارية عروبية؟ وكإجابة أولية على هذا السؤال، تنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية مفادها أنه عند الحديث عن اليهود واليهودية من الضروري العودة إلى الأصول الحضارية وتاريخهم البشلي الذي تكون وظهر قبل ميلاد سيدنا عيسى إلى رسالة خاتم الأنبياء سيدنا محمد عليهما السلام، وأنه ما من عقيدة دينية ظهرت للناس طفرة بغير سابق، وما من عهد من عهود الأديان إلا وبينهما تمهيد وتعقيب. لذلك لا يمكن إنكار أن الديانة اليهودية كانت ممهدة للديانات السماوية. ولعلاج سؤال هذه الورقة رأينا أن تناولها عبر المحاور ثلاث رئيسية: أولها بعنوان "سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء" وهو محور يلقي الضوء على عصر سيدنا إبراهيم الخليل الذي يعتبر عصراً منفصلاً ومستقلاً بلغته ووطنه عن عصر سيدنا موسى الذي جاء لاحقاً له. وذلك لأن ما نفهمه من التاريخ أنهم عصران منفصلان لا يرتبط الواحد بالآخر بأية صلة. معتمدين في ذلك على المرجع الأساسي التالي: أحمد سوسة، *العرب واليهود في التاريخ*، ويأتي الاعتماد على هذا المرجع لما له من أهمية في توضيح هذه الحقيقة بدقة متناهية وإثبات الأصول العروبية لأبو الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل الذي جاء لجميع البشر بالمرجعية التنزيهية التوحيدية.

عصر النبي موسى (التوراة) هو محور ثانٍ معني بعصر موسى عليه السلام الذي بدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو عصر متصل بمصر، قائم بذاته أيضاً بلغته وثقافته وديانته. وأن هجرة سيدنا موسى والموسويين من مصر القديمة، إلى أرض كنعان، هي الفترة التي يمكن أن نطلق عليها تسمية الفترة المصرية الكنعانية. بالرجوع إلى المرجع الأساس التالي: محمد بيومي مهران، *بنو إسرائيل منذ إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام*؛ وتمت الاستعانة بهذا المرجع في الدرجة الأولى للتمييز بين التوراة التي نزلت على النبي موسى وبين التوراة التي كتبها اليهود بعد ثمانمائة عام من عهد سيدنا موسى وبعد ألف وخمسمائة عام من عهد سيدنا إبراهيم الخليل.

صلة اللغة العبرية باللغة العربية: إننا هو المحور الثالث يلقي الضوء على عالم عربي واحد ووحدة وجغرافية واحدة مترابطة الأجزاء تضم الجزيرة العربية ووادي الرافدين إلى مصر السفلى، يتكلم أهلها لغة واحدة، هي اللغة العربية الأم قبل أن تتفرق هذه اللغة إلى اللهجات المختلفة كالآرامية والفينيقية والعبرية والعربية. راجعين في ذلك إلى المرجع الأساس التالي: علي العناني، *الأساس في الأمم السامية ولغاتهم*، وتمت الاستعانة بهذا المرجع لتبيين بأن اللغة العبرية ليست لغة مستقلة بذاتها كما يدعي البعض، حيث أنها جزء لا يتجزء من اللغة الأم كونها أحد الفروع العديدة التي اقتبست أبجدياتها من الأبجدية الكنعانية الأصل.

II

1. إبراهيم أبو الأنبياء: إن دراسة تاريخ اليهود القديم لا يمكن أن تتأني لنا على الوجه الصحيح، إلا عن طريق دراسة تاريخ أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل، فإن عصر سيدنا إبراهيم يرجع تاريخياً إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهو عصر قائم بذاته بلغته وقوميته وديانته، وسابق لعصر سيدنا موسى الذي جاء لاحقاً بسبعمائة عام، كما أنه لا صلة له بعصر اليهود الذي يأتي بعد عصر إبراهيم الخليل بحوالي ألف وخمسمائة عام¹².

اختلف المؤرخون في تحديد البناء النسبي لأبو الأنبياء إبراهيم الخليل، حيث يقال له "إبرام" ومعناه في اللغة العبرية الأب الرفيع أو الأب المكرم¹³، تغير اسمه في ما بعد من إبرام إلى إبراهيم ومعناه أبو الجمهور بعد أن وعده الله بأن يجعله أباً للشعوب، ومؤسس للعبرانيين¹⁴، ويذهب البعض إلى القول أن نسبه يعود إلى إبراهيم بن تارخ بن فاخور بن ساروغ بن أرعو بن فالغ بن غابر بن شالع بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح¹⁵، أما ابن خلدون فقد أورد نسب إبراهيم فقال: هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ أو ساروخ بن عابر أو عنبر بن شارخ أو شليخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وفي التوراة هو إبراهيم هو إبرام بن تارخ بن ناحور بن سروج بن رعو بن فادج بن عابر بن شالخ بن أرفكشد بن سام بن نوح¹⁶.

تجمع التقاليد العبرية على أن مسقط رأس الخليل عليه السلام إنما كان مدينة "أور" والتي دعوها "أور الكلدانيين" وذلك طبقاً لروايات عديدة في أسفار التوراة. وعلى هذا الأساس آمن اليهود القدامى بأن الموطن الأصلي لسلفهم "إبراهيم" إنما كان في منطقة الفرات الأدنى¹⁷. وهنا يطرح السؤال الذي شغل بال المؤرخين اليهود وهو: هل من صلة تربط اليهود بإبراهيم الخليل؟ لقد أجاب الكثير من المؤرخين على هذا السؤال بشكل يتفق مع ما جاء في التوراة - ربما انسجاماً مع شعورهم الديني - وقد بين بعضهم أن جماعة إبراهيم التي كانت تقطن في أور الكلدانيين بحسب التوراة هي جماعة بدوية تعيش على الرعي، وأن نزاعاً ما هو الذي دفع الجماعة إلى الهجرة بعيداً عن موطنها¹⁸.

على أن هناك من يذهب إلى أن مدينة "أور" التي ورد ذكرها في التوراة على أن إبراهيم الخليل قد قدم منها، لا تقع على الخليج العربي وليست في بابل، بل هي من إقليم العراق الأعلى في منطقة الجزيرة بين دجلة والفرات، ويعتمد أصحاب هذا الاتجاه على أن هناك أدلة أخرى في التوراة نفسها تشير إلى مكان آخر، غير "أور" المشهورة في منطقة الفرات الأدنى¹⁹. وهكذا فإن هناك رأيين فيما يختص بموطن إبراهيم الخليل الأصلي، وكل منهما يعتمد في الدرجة الأولى على نصوص التوراة، والتضارب بين نصوص التوراة أمر معروف، ونظائره كثيرة. هذا وقد ذهبت بعض آراء المؤرخين المسلمين إلى أن موطن الخليل عليه السلام، إنما كان في

"ارم النهرين" حران حالياً، حيث كانت العشائر الآرامية التي ينتمون إليها قد استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية، ثم نزحت فروع من هذه القبائل إلى جنوبي العراق (منطقة بابل) فكان إبراهيم الخليل من ذريتها²⁰. وهذا الرأي أقرب إلى الصواب.

أما قوم سيدنا إبراهيم، فهناك من يجعلهم من المجموعة الآرامية التي تزوج منها إسحاق ويعقوب، سواء صح هذا أم لا، فإن قوم إبراهيم كانوا قد خرجوا من الجزيرة العربية التي نشئوا فيها كجماعة من الجماعات العروبية (السامية) العديدة²¹، فقوم إبراهيم إذاً يرتبطون بالجزيرة العربية بلغتها الأم وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها، ويعتبر المؤرخون أن قبائل العرب البائدة أو العرب العاربة هي القبائل الآرامية التي ينتهي إليها إبراهيم الخليل، فكانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعاً إلى ارم ويسمونها بالأرمان²².

بعد أن تحدثنا عن نسب سيدنا إبراهيم وقومه من الضروري الإشارة إلى أن دعوة سيدنا إبراهيم تقوم على وحدانية الله الخالصة أول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد، وهي عروبية لغةً ووطناً، ولا صلة لها بالدين اليهودي وسيدنا موسى الذي جاء بعدها بسبعمئة عام من هذه الدعوة فهم عصرين منفصلين كما ذكرنا، بل أن دعوة سيدنا إبراهيم كانت لجميع البشر وكانت بداية لظهور الديانات السماوية. فأن الله سبحانه وتعالى جعل في سلالاته النبوة والكتاب، فجميع الأنبياء الذين جاؤوا من بعده هم أحفاده وأبنائه، إلا أن جاءت رسالة سيدنا محمد عليه السلام، خاتم الأنبياء، التي نزلت عليه باللغة العربية أيضاً، حيث أن اللغة التي كان يتكلم بها سيدنا إبراهيم الخليل هي اللغة العربية الأم التي وطنها الأصلي موطن سيدنا محمد²³.

إن دعوة الخليل قد اقترنت بالتوحيد، واقترنت بميزان العدل الإلهي واقترنت بإعلاء العبادة إلى ما فوق الطبيعة²⁴. ربما من المفاجئ عند بعض الناس أن يقال لهم أن إبراهيم عليه السلام كان عربياً، وأنه كان يتكلم اللغة العربية، ولكنها الحقيقة التاريخية التي لا تحتاج إلى تفسير نادر غير الترجمة الواقعية، وأن الفرض الغريب هو نسب إبراهيم إلى قوم غير قومه الذين هو منهم في الصميم²⁵. وليس هذا أنه كان يتكلم العربية التي نكتها اليوم ونقرأها، فلم يكن في العالم أحد يتكلم هذه اللغة في عصر إبراهيم ولا في العصور اللاحقة به إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وإنما اللغة العربية المقصود بها هنا هي لغة الأقوام اللغة العروبية (الأم) التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية وتهاجر منها وإليها في تلك الحقبة.

في العالم اليوم أكثر من ألف مليون إنسان يدينون بالموساوية والمسيحية والإسلام، وهي الأديان التي جاء بها موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وهم الأنبياء الثلاث الكبار الذين ينتمون إلى الخليل إبراهيم²⁶. وأيما كان الأمر، فإن إبراهيم الخليل إنما كان عربياً خالصاً من سلالة العرب التي يطلق عليها المؤرخون المسلمون "العرب العاربة" والتي يرتفع نسبها إلى "سام بن نوح" عليه السلام، وبهذا جد العرب قبل أن يكون جد اليهود²⁷.

2- عصر النبي موسى (التوراة): ظهر النبي موسى في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي بعد زمن إبراهيم الخليل عليه السلام بسبعمئة عام²⁸. وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام²⁹. ولد موسى في فترة الاضطرابات الصعبة التي سلبت فيها فرعون على بني إسرائيل، وكان أصغر أولاد أبيه³⁰. ذلك الوقت الذي أصدر فيه فرعون قراره بقتل من ولد لبني إسرائيل من الذكور، لذلك أوحى الله لأمه أن تضعه في تابوت وتلقيه، فشاء الله تعالى بعد ذلك أن ترى امرأة فرعون التي لم تكن تنجب، التابوت فتفتحه لترى مولوداً، فطلبت من زوجها أن يمكث عندهما ويكون ابناً لهم فنشأ وتربى في قصر فرعون حتى كلفه الله بالرسالة³¹.

بعث الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، ولكن فرعون زاد إعراضاً واستكباراً في الأرض، فجاء تأييد الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام بآيات شاهدة بوحداية الله، ومن هذه الآيات الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع...، وبعد كل ما قدم موسى من دلائل وبراهين، لم يبق أمام فرعون إلا التخلص منه.

ولما بلغ التجبر والطغيان عند فرعون وقومه جاء أمر الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج بقومه ليلاً، فلما علم فرعون بخروجهم لحقهم بجيشه، توجه بنو إسرائيل اتجاه البحر فجعله الله لهم طريقاً ييساً، ومشى فيه فرعون وجنوده فأغرقوا بكفرهم³²، قال الله سبحانه: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعُدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ*الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ*فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)³³.

على أي حال، فلسنا نعرف من حياة موسى، عليه السلام، منذ ولادته حتى صدر شبابه، شيئاً على وجه اليقين، وأكبر اليقين أنه تولى منصباً وتبواً مكانه في دولة فرعون. ويعين المؤرخون تاريخ خروج النبي موسى وأتباعه من مصر إلى أرض كنعان (فلسطين) في حوالي 1290 ق م³⁴. هؤلاء قوم موسى جاءوا إلى أرض كنعان وهم غرباء عنها يتكلمون اللغة المصرية الفرعونية، ولم تكن لهم أية صلة ببني إسرائيل الذي كانوا قد جاءوا إلى مصر القديمة في عهد يوسف عليه السلام أي قبل عصر موسى بحوالي ستمائة عام والذين اندمجوا بشعب مصر³⁵. الموسويون كما تدل الأحداث مصريون على الأرجح معظمهم من بقايا الهكسوس. وهم بطبيعة الحال كانوا يتكلمون باللغة المصرية وبها نقل موسى الشريعة والوصاية العشر التي كتبت باللغة الهيروغليفية. إلى أن أخذ هؤلاء الموسويون بعد مرور عدة قرون بلغة كنعان وتقاليدها وثقافتها ومارسوا حتى ديانتها الوثنية بعد أن انحرفوا عن ديانة موسى وشريعته³⁶.

تعد الكتب الدينية اليهودية ركناً مهماً من أركان الديانة اليهودية، لا سيما بشكل خاص التوراة التي يمتد عمرها إلى ما يقرب من ثلاث آلاف سنة، ما يجعلها واحدة من أقدم الكتب في العالم. ونظراً إلى أهمية التوراة ككتاب ديني فقد اختلف المؤرخون على طبيعتها، فمنهم من عدها إحدى الكتب المنزلة من الله بغض النظر عن انقسام هؤلاء بين مجموعة ترى أن الكتاب الحالي هو نفسه الكتاب القديم ومجموعة ترى أنه غيره أو محرف عن ذلك الكتاب، كذلك ترى جماعة أن التوراة ليست سوى كتاب كتبه البشر ثم نسبوه إلى الله ليعطوه أهمية أو قدسية. لكن أياً كانت طبيعة الكتاب فإن له أهمية خاصة كونه يمثل مصدراً لتاريخ حقبة مهمة من تاريخ المنطقة، على الرغم مما فيه من خلط وتغيير للحقائق، وهو لا يمثل مجرد كتاب يسرد التاريخ بل كتاباً تضمن الكثير من المعلومات الاجتماعية والقصص والأساطير، التي أخذ معظمها من تراث المنطقة ثم أحييت برؤية يهودية ترتبط بديانتها التوحيدية. ولقد أثبت علماء التاريخ أن الكثير من القصص والشرائع الموجودة في التوراة تعود إلى موروث المنطقة الحضاري، لا سيما بشكل خاص حضارة وادي الرافدين التي مثلت أهم المصادر التي استقى منها اليهود فكرهم وديانتهم، فقد تبين أن شريعة اليهود وعناصر من قصة الخليفة وخلق آدم وقصة قابيل وهابيل وولادة موسى وقصة الطوفان وقصة أيوب والحكيم لقمان مأخوذة من التراث العراقي القديم، هذا بالإضافة إلى ما أخذه عن المصريين والكنعانيين³⁷.

ويمكن أن نخلص إلى أن توراة موسى عليه السلام الأصلية لا يعرف شيء مؤكد عن مضمونها الأصلي، إذ لم يعثر على أي أثر لها، ولذلك هناك غموض حول اللغة التي كتبت بها، ولكن معظم القرائن تدل على أنها كتبت باللغة المصرية وباليروغليفية³⁸. أما التوراة المتداولة في الوقت الحاضر فقد كتبها الكهنة والأخبار اليهود في القرن السادس عشر قبل الميلاد في بابل، أي بعد عصر النبي موسى بحوالي ثمانمائة عام. وهذه بلا شك غير الشريعة التي نزلت على موسى، ويمكن أن نطلق عليها "توراة اليهود" لتمييزها عن توراة موسى³⁹.

2. صلة اللغة العبرية باللغة العروبية: تنتمي اللغات العروبية إلى واحدة من أكبر الأسر اللغوية في العالم القديم والوسيط والحديث، وهي ما اصطلح عليها العلماء الغربيين تسمية السامية الأم، "اللغة العروبية" وهي لغة لا وجود لها الآن، في صورة وثائق أو نقوش مكتوبة⁴⁰. وأول من أطلق تسمية "اللغات السامية" هو العالم الألماني "لودفيك شلوتزر" خلال بحث نشر في سنة 1781، مستخلصاً التسمية من الجدول الخاص بأنساب نوح عليه السلام الوارد في التوراة⁴¹. وقد اعتمد في ذلك على ما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين الآيات 20-32، إذ كان من خلال بحثه يبحث عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش⁴².

هناك إجماع بين الباحثين العرب على أن الكنعانيين العرب كانوا أول من استعمل الحروف الهجائية، ثم نقلهم الكنعانيين بدورهم بين سنة 850-750 قبل الميلاد إلى الإغريقية واللاتينية، إلى أن نقلها الآراميون بعدهم إلى الشرق الأدنى كله. أضف إلى ذلك أن أقدم كتابة بالأحرف الهجائية أكتشفت في شبه جزيرة سيناء، وهذه الكتابات جاءت باللهجة الكنعانية القديمة وتعد حلقة الوصل بين الهيروغليفية التصويرية وبين الأبجدية ويعود تأريخها إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد⁴³.

إن تناول اللغة العبرية، ورصد تطورها وامتدادها التاريخي، وما أثر حولها من تساؤلات عديدة، بما يتعلق بنشئها، وهل هي لغة مستقلة مترابطة، أم أنها نسيج من لغات ولهجات متنوعة، ولقد ساهم في خلق هذا التشويش مجموعة من المستشرقين الذين حاولوا إعطاء صفة الاستقلالية للغة العبرية، وبأنها لغة متكاملة، ونسبوا إليها العديد من اللغات الأخرى، التي لم تستطع البرهنة على سلامة هذا التوجه والمضمون، بل إن الوقائع استطاعت إثبات أن اللغة العبرية، ما هي إلا إحدى اللهجات الكنعانية والآرامية⁴⁴، حيث تعد اللغة العبرية أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق وأوسعها انتشاراً وأكثرها إنتاجاً في مختلف فنون القول: في الدين والآداب والتاريخ والفلسفة والعلوم.

وعلى الرغم من تسميتها اللغة العبرية فهي ليست لغة جميع العبريين بل لغة فرع واحد من فروعهم وهو فرع بني إسرائيل⁴⁵، فلقد استخدم العبريون الخط المشتق من الرسم الفينيقي في بداية أمرهم إلى نحو المائة العاشرة قبل الميلاد، وكان يعرف عند بني إسرائيل بالقلم العبري ثم استبدل اليهود هذا القلم بقلم آخر يشبه الآرامي عرف عندهم بعد أن ارتقى بالخط المربع أو الخط الآشوري، وكان اليهود يستعملون القلم المربع في الشؤون الدينية أما في الأعمال الدنيوية فقد ظلوا يستعملون الخط العبري القديم حتى نهاية القرن الثاني بعد الميلاد ومن المحتمل أن يكون اليهود قد أخذوا نظام الأبجدية عن الكنعانيين لأن هذا النظام موجود منذ زمن بعيد في الآداب الإسرائيلية بدليل أن بعض المزامير قد وجد مكتوباً به⁴⁶.

تأكيداً على هذا إن هناك من يظن لدى رؤيته مصادفة نصاً باللغة العبرية أن الحديث يدور عن لغة معقدة يصعب تعلمها خاصة أن حروفها الـ 22 تكتب بشكل غريب يتخيله الكثيرون للوهلة الأولى قريباً من الصينية. لكن الحقيقة أن اللغة العبرية التي تكتب كالعربية من اليمين لليسر، ليست سوى إحدى اللغات العروبية (السامية)، كاللغة العربية تماماً، أي أنها وبكلمات أخرى ومثلما ذهب العديد من علماء اللغة أنها شقيقة اللغة العربية، ولدت من الأم نفسها وفي البيئة نفسها، حيث تشترك الأبجدية العربية مع الأبجدية العبرية التوراتية في 22 حرفاً، وهي: ء، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت. وتنفرد الأبجدية العربية بستة أحرف إضافية وهي: ث، خ، ذ، ظ، ض، غ⁴⁷.

لقد كان اليهود قديماً كجميع الأمم العروبية لا يكتبون الحركات المستعملة الآن، بل كانت لديهم حروف مجردة من الحركات إلى أن أخذوا يستعملون بعض الحروف كعلامات للحركات تساعدهم على ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف وكانت الألف والهاء والواو هي التي تقوم مقام الحركات⁴⁸، وقد وصلت إلينا اللغة العبرية عن طريق ثلاثة مراجع أولاً الكتب التي دونت بها وهي أسفار العهد القديم وملحقاتها، وعدد كبير من المؤلفات التي دونها علماء اليهود في مختلف العصور، وثانياً بعض النقوش الأثرية على لوحات من الصخر والمعدن، وثالثاً استخدام اليهود لها في الصلاة والأدعية الدينية⁴⁹.

يتضح مما سبق الدور الرئيسي الذي لعبته الجزيرة العربية في تطوير الثقافة العالمية وتقديمها، حيث تفرع من الأبجدية الكنعانية القديمة عدة أبجديات يقسمها علماء اللغة إلى مجموعتين رئيسيتين، الأولى هي المجموعة السامية الشمالية والتي تفرع منها الفينيقية، والقرطاجية، والليبية، والآرامية والعبرية، والعربية وغيرها. أما المجموعة الثانية فهي السينائية العتيقة التي بدورها تفرعت إلى السامية الجنوبية والسبئية والاثيوبية وغيرها⁵⁰. إذاً إن اللغة العبرية (بمعنى اليهودية) لم يكن لها أي دور في نشوء الكتابة الأبجدية وتطورها ويرجع ذلك كونها أحد الفروع العديدة التي اقتبست أبجديتها من الأبجدية الكنعانية الأصلية⁵¹.

الخلاصة: إن اليهود والمسيحية جزء لا يتجزأ من حضارة وادي الرافدين القديمة التي لها ارتباطاً كلياً بحضارة الشرق الأدنى كوحدة جغرافية واحدة لا تقبل الانفصال. فالجزيرة العربية إذن هي مهد الحضارات العروبية ومهبط الديانات الثلاث، وبفضل تشابك مصالح هذه القبائل ببعض وتفاعل نشاطها في سبيل الحصول على حياة أفضل، تكون عالم عربي واحد، ووحدة جغرافية واحدة مترابطة الأجزاء. ولغتها في الأصل لغة واحدة، هي اللغة العروبية (السامية) الأم، إلى أن تفرعت منها باقي اللهجات الأخرى.

وأنه من الضروري الإشارة إلى مسألة مهمة ألا وهي أنه يجب أن نقول (العرب واليهود) وليس (اليهود والعرب) كما اعتاد الباحثون أن يفعلوا فيقدمون اسم اليهود على العرب في عناوين بحوثهم بمعنى أن اليهود هم الأقدم وأن العرب فرع متأخر، لكن العكس هو الصحيح لأن العرب هم العروبيون (الساميين) الأصليون الذين أسسوا أقدم الحضارات في الجزيرة العربية، أما اليهود فقد ظهروا في وقت متأخر ولم يتركوا أية حضارة قديمة خاصة بهم، إذ إنهم اقتبسوا حضارة الكنعانيين أهل البلاد الأصليين ثم أخذوا يتحدثون بالعبرية المقتبسة من الآرامية (العربية الأصل). فيتضح مما تقدم أن اليهود لم تكن لهم أية مساهمة في تقدم الحضارة الإنسانية فلغتهم مقتبسة من الآرامية وشرائعهم مأخوذة عن الكنعانيين والبابليين والمصريين، فهم جزء لا يتجزأ من هذه الحضارات العروبية.

وأخيراً نستنتج أن الديانة اليهودية كانت ممهدة لظهور الديانات السماوية، وذلك من خلال أنها أولاً: نادت بالمرجعية التزيهية حيث أن الله منزه عن كل شيء أي وحدانية الله وحده، وثانياً: بالرجوع إلى النشأة الأولى لهم، وانتقالهم عبر الزمن من منطقة إلى أخرى حتى وصولها إلى أرض كنعان، وثالثاً: من خلال إثباتنا أن اللغة العبرية ليست إلا فرع من فروع اللغة العروبية الأم. وكل ذلك يرمي إلى كونها ديانة عربية ذات أصول حضارية عروبية.

أضف إلى ذلك التوضيح بأن سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء لم يأتي لليهود كما يعتقد البعض، بل جاء بالمرجعية التوحيدية لجميع البشر، والتي نادت بها كل الديانات السماوية، وأن بني إسرائيل الذي قدم منهم سيدنا إبراهيم هم قبائل عاشت في تلك الفترة، وهاجرت من مكان إلى آخر إلى أن وصلت إلى مصر واختلطت مع شعب مصر إلى أن جاء سيدنا موسى، لذلك يجب التمييز بينهم وبين اليهود (الموسويين) حيث أنهم ظهروا بعد بني إسرائيل بستمئة عام. وكما ذكرنا سابقاً أن اليهود قد هاجروا من مصر إلى أرض كنعان في ذلك الوقت وذلك يثبت لنا أنهم غرباء ودخلاء على فلسطين، حيث أن سكان فلسطين الأصليين هم الكنعانيون الفينيقيون والعموريون. لذلك فيجب على كل عربي أن يتفهم حضارات هذه الأقوام التي دامت أكثر من ألفي سنة قبل عصر سيدنا موسى. فاعتمد اليهود في تطوير عقيدتهم على موروث المنطقة الثقافي بعد أن صبغوه بالصبغة اليهودية.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1. أحمد سوسة، *العرب واليهود في التاريخ*، (القاهرة: العربي للأعلان والنشر والطباعة، 1993، ط2).
2. أحمد شحان، *مجمع البحرين من الفينيقية إلى العربية* (دراسة مقارنة في المعجم واللغات العروبية (السامية)، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2009).
3. أحمد كمال الصليبي، *حرب داود*، (الأردن: دار الشروق 1991، ط2).
4. إسرائيل ولفنسون، *تاريخ اللغات السامية*، مصر: مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، ط1، 1929.
5. ربي كمال، *قواعد اللغة العبرية*، بيروت: عالم الكتب، 1980.
6. رشاد الشامى، (أبراهام مالميت)، *العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والإكتشافات الأثرية*، القاهرة: مكتبة الإسكندرية، ط1، 2001.
7. عز الدين ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1997.
8. علي العناني وآخرون، *الاساس في الامم السامية ولغاتهم*، القاهرة، ط1، 1935.

9. علي عبد الواحد، *فقه اللغة*، مصر: شركة نهضة، ط5، 2007.
10. كارل بروكلمان، *فقه اللغات السامية*، ترجمة: رمضان عبد التواب، المملكة العربية السعودية: جامعة الرياض، 1977.
11. كمال الصليبي، عفيف الرزاز، *التوراة جاءت من جزيرة العرب*، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط6، 1997.
12. محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: مطبعة المعارف، ط1، 1967.
13. محمد بيومي مهران، *بنو إسرائيل منذ إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام*، الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، ج1، ط2، 1999.
14. محمد خليفة حسن، *تاريخ الديانة اليهودية*، القاهرة: دار القباء للطباعة والنشر، 1998، ط2.
15. نخبة من الأساتذة، *قاموس الكتاب المقدس*، بيروت: دار منهل الحياة، ط1، 1993.
16. نخبة من الأساتذة، *قاموس الكتاب المقدس*، بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط2، 1971.

المقالات:

17. حكمت بلعوي، *الجدور التاريخية للغة العبرية ومنابع تطورها*، مؤسسة فلسطين للثقافة. 2006.
18. أسامة كاظم الطائي، *النبي إبراهيم دراسة تاريخية عن حياته الاجتماعية*، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية المجلد 4 العدد 1، جامعة بابل، كلية التربية الإنسانية.

- * طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادال، جامعة محمد الخامس الرباط.
- ¹ سيأ، الآية: 38.
- ² أحمد الريسوني: الوقف الإسلامي مجالاته و أبعاده (الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسسكو، ب.ت، ب.ط)، ص 29.
- ³ أحمد الريسوني: الوقف الإسلامي.... مرجع سابق، ص 29.
- ⁴ رقية بلمقدم: أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل . الجزء الأول (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ت، ب.ط)، ص 42.
- ⁵ رقية بلمقدم: أوقاف مكناس مرجع سابق، ص 43.
- ⁶ السعيد بوركية: دور الوقف في الحياة لثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية . الجزء الأول، ص: 66
- ⁷ من هذه الجوامع الجامع الأعظم بسلا وجامع المنصور بمراكش. السعيد بوركية : دور الوقف.... مرجع سابق، ص 71.
- ⁸ مجلة دعوة الحق، العدد 3، يناير 1966.
- ⁹ الأحباس المغربية في المملكة المغربية، صص 23-24.
- ¹⁰ محمد الحبيب التجكاني: الإحسان الإلزامي في الإسلام وتطبيقاته في المغرب (المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، 1990)، ص 556.
- * طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، جامعة محمد الخامس الرباط.
- ¹ محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، (القاهرة: دار القباء للطباعة والنشر، 1998، ط2، ص 189).
- ² ن، م، ص 192.
- ³ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، (القاهرة: العربي للإعلان والنشر والطباعة، 1993، ط2، المقدمة، ص، ن).
- ⁴ كمال الصليبي، عفيف الرزاز، التوراة جاءت من جزيرة العرب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط6، 1997، ص 12.
- ⁵ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، م، س، ص - ظ.
- ⁶ ن، م، ص - ف.
- ⁷ رشاد الشامي، (أبراهام ماملت)، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والإكتشافات الأثرية، (القاهرة: مكتبة الإسكندرية، ط1، 2001، ص 16).
- ⁸ ن، م، ص - ع.
- ⁹ أحمد كمال الصليبي، حرب داود، (دار الشروق، الأردن: 1991، ط2، ص 18).
- ¹⁰ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، م، س، ص - ر).
- ¹¹ أحمد شحان، مجمع البحرين من الفنيقية إلى العربية (دراسة مقارنة في المعجم واللغات العروبية (السامية)، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2009، ص 24-ص 28.
- ¹² أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، م، س، ص - ت).
- ¹³ نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ط2، 1971، ص 949.
- ¹⁴ نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، بيروت، ط1، 1993، ص 1.
- ¹⁵ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر، مطبعة المعارف، 1967م، ط1، ص 233.
- ¹⁶ أسامة كاظم الطائي، النبي إبراهيم دراسة تاريخية عن حياته الاجتماعية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية المجلد 4 العدد 1، جامعة بابل، كلية التربية الإنسانية، ص 132.
- ¹⁷ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل منذ إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، م، س، ص 66.
- ¹⁸ سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، بغداد، بدون دار نشر، 1979، ص 109.
- ¹⁹ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل منذ إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، م، س، ص 67.
- ²⁰ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، م، س، ص - د).
- ²¹ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل منذ إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، م، س، ص 63.
- ²² أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، م، س، ص - د).
- ²³ (ن، م، ص - ح).
- ²⁴ عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ص 4.
- ²⁵ ن، م، ص 131.
- ²⁶ ن، م، ص 4.
- ²⁷ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، م، س، ص - د.
- ²⁸ ن، م، ص - ذ.

- ²⁹ عز الدين ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1997، ص150.
- ³⁰ محمد بيومي مهران، *بنو إسرائيل منذ إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام*، م، س، ص67.
- ³¹ أحمد غلوش، *دعوة الرسل عليهم السلام*، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ص267.
- ³² ن، م، 268.
- ³³ القرآن الكريم، *سورة يونس*، آية: 90-92.
- ³⁴ أحمد سوسة، *العرب واليهود في التاريخ*، م، س، ص285.
- ³⁵ ن، م، ، ص-ط.
- ³⁶ ن، م، ، ص-ر.
- ³⁷ أحمد سوسة، *العرب واليهود في التاريخ*، م، س، ص179-225.
- ³⁸ أحمد سوسة، *العرب واليهود في التاريخ*، ص-ل.
- ³⁹ ن، م، ، ص-ر.
- ⁴⁰ كارل بروكلمان، *فقه اللغات السامية*، ترجمة: رمضان عبد التواب، (المملكة العربية السعودية: جامعة الرياض، 1977، ص5.
- ⁴¹ إسرائيل ولفندسون، *تاريخ اللغات السامية*، مصر: مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، ط1، 1929، ص10.
- ⁴² كارل بروكلمان: *فقه اللغات السامية*، م، س، ص11.
- ⁴³ أحمد سوسة، *العرب واليهود في التاريخ*، م، س، ص130.
- ⁴⁴ حكمت بلعوي، *ال جذور التاريخية للغة العبرية ومنايع تطورها*، مؤسسة فلسطين للثقافة. 2006..
- ⁴⁵ ربي كمال، *قواعد اللغة العبرية*، بيروت: عالم الكتب، 1980، ص34.
- ⁴⁶ علي العناني وآخرون، *الاساس في الامم الساميه ولغاتهم*، القاهرة، ط1، 1935، ص33.
- ⁴⁷ كمال الصليبي، عفيف الرزاز، *التوراة جاءت من جزيرة العرب*، م، س، ص21.
- ⁴⁸ علي العناني، *الاساس في الامم الساميه ولغاتهم*، م، س، ص59.
- ⁴⁹ علي عبد الواحد، *فقه اللغة*، مصر: شركة نهضة، ط5، 2007، ص39.
- ⁵⁰ أحمد سوسة، *العرب واليهود في التاريخ*، م، س، ص136.
- ⁵¹ ن، م، ، ص136.